

مناهج النحو العربي في التعليم الجامعي بين الواقع والمأمول

الاستاذ المساعد الدكتور
أمجد كامل عبد القادر
جامعة البصرة - كلية الآداب

ملخص البحث

يبدو أن مشكلة تعليم اللغة العربية في المؤسسات الجامعية أضحت تشكل عامل قلق في مسيرة التعليم ، مما دفع الباحثين إلى استقصاء أسباب الضعف بغية استنتاج الحلول ، إذ تعدّ المناهج اللغوية التي تعتمد عليها الجامعات العراقية في التعليم من أهم الأسباب والمشكلات التي ينبغي النظر فيها ومعالجتها علاجاً جذرياً ينهض بالواقع العلمي لخريجي أقسام اللغة العربية ويحسن من أداء مستواهم اللغوي ، ولاسيما درس النحو العربي الذي يشكل اليوم عامل قلق لدى طلبة العربية ، وهذا ما نلمسه في الإخفاقات الكبيرة التي يتعرض لها أولئك الطلبة في مختلف مراحلهم التعليمية في الجامعة. ولئن كان هذا المؤتمر اليوم في كلية الآداب يشكل رمزا لعمق الإحساس بالمسألة والمسؤولية ، فإنه يأتي حلقة مميزة ضمن سلسلة طويلة من المؤتمرات والندوات التي عقدت لدراسة شؤون المناهج اللغوية تعليماً وتعلماً.

إنّ مناهجنا التعليمية اليوم تعتمد اعتماداً كلياً على ما وضعه القدماء وألقوه في عصورهم ، ومن المعلوم أن علماء اللغة من الرعيل الأول وضعوا كتب النحو معتمدين أساليب الجمع والاستقراء والاستنتاج ، فجاءت القواعد صورة أمينة لمستوى عصرهم ومستوى فهمهم للغة ، وهو مستوى عال ، وفي المراحل التالية اتسعت الهوة بين القواعد واللغة ، وأصبحت القواعد بناءً نظرياً مستقلاً ، ولعل هذا ما تعاني منه اللغة والقواعد وما يعاني منه المعلمون والمتعلمون ، وأوضح مثل على ذلك حال بعض المعلمين والمتعلمين الذين يتقنون القواعد ويستظهرون شواردها أو واردها ، قياساً وشواذها ، ولا يتقنون اللغة ذاتها ، ولا يتحسسون روحها وعبقريتها ولا يحسنون التعبير عنها.

إن الجهود التي بذلت في سبيل تطوير مناهج تدريس النحو وتيسير تعليمه لم تجد نفعاً ، لأنها لم تجد طريقها إلى الكتاب المنهجي الجامعي ، فبقينا نقر التوصيات والمقترحات ثم نعود لتعليم النحو من كتب القدماء بدءاً من منظومة ابن مالك وشروحه وانتهاء بشذور الذهب والأجرومية وشروحه ، ليس في هذا القول تقليل من قيمة تلك الكتب ومؤلفيها المحققين الأجلاء ، ولكن تعقيد مادتها النحوية وأساليب تأليفها ، وقدماء عباراتها وغرابتها هو ما يشكو منه طلابنا وهو ما نسعى إلى تجاوزه في النحو التعليمي ونتركه ذخيرة للنحو العلمي.

إن واقع مناهجنا النحوية التي ندرسها اليوم يحتم علينا أن نقف لصناعة المنهج المأمول الذي يرفع بالمستوى العلمي والتعليمي للباحثين في علوم اللغة والنحو ، ونذكر هنا جملة من المقترحات التي ينبغي أن تتصف بها المناهج النحوية التعليمية:

- توحيد حدّ المصطلح النحوي أو تعريفه تعريفا واحدا ، بعيدا عن الاجتهادات التي تؤدي إلى البلبلة وعدم الاتفاق.
- فصل المصطلح الصرفي عن المصطلح النحوي لتداخلهما في كثير من الكتب النحوية.
- تخليص النحو مما علق به من آثار العلوم الأخرى ولاسيما التعليل.
- التخفيف من الشواهد الشعرية ولاسيما مجهولة النسب ، والإكثار من الشواهد القرآنية وتحليلها .

UNIVERSITY ARABIC GRAMMAR TEXTBOOKS

APPLCATION VS. EXPECTATION

BY:Asst.Prof.Amjedd Kamill Abdul-Kadir(Ph.D.)

ABSTRACT

Examining the Arabic grammar textbooks at the university level, one can safely find out that these grammars are completely based on all that the pioneers wrote a long time ago. This means that the resource books in question were originally written for their own generations who were with levels of perception and comprehension totally different from present day people. This is on the one hand. On the other hand, modern linguists have undoubtedly done their best to simplify Arabic grammar for their learners because they have already realized that what is actually taught to the university students is far from what is expected. That is why there is a crying need for developing new grammar textbooks that will help the learners improve their levels and better their knowledge as far as linguistics and grammar are concerned.

The present study aims to develop new Arabic grammar textbooks that satisfy the needs of the students and that match with their expectations. Lt is after planning for writing the future University grmmar textbook.

المقدمة :

يبدو أن مشكلة تعليم اللغة العربية في المؤسسات الجامعية أضحت تشكل عامل قلق في مسيرة التعليم ، مما دفع الباحثين إلى استقصاء أسباب الضعف بغية استنتاج الحلول ، إذ تعدّ المناهج اللغوية التي تعتمد عليها الجامعات العراقية في التعليم من أهم الأسباب والمشكلات التي ينبغي النظر فيها، ومعالجتها علاجاً جذرياً ينهض بالواقع العلمي لخريجي أقسام اللغة العربية ، ويحسن من أداء مستواهم اللغوي ، ولا سيما في درس النحو العربي ، الذي يشكل اليوم مشكلة واضطراباً لدى طلبة العربية ، ولئن كان هذا المؤتمر اليوم في كلية الآداب يشكل رمزاً لعمق الإحساس بالمسألة والمسؤولية ، فإنه يأتي حلقة مميزة ضمن سلسلة طويلة من المؤتمرات والندوات التي عقدت لدراسة شؤون المناهج اللغوية تعليماً وتعلماً.

إنّ مناهجنا النحوية التعليمية اليوم تعتمد اعتماداً كلياً على ما وضعه القدماء وأفقوه في عصورهم ، ومن المعلوم أن علماء اللغة من الرعيل الأول وضعوا كتب النحو معتمدين أساليب الجمع والاستقراء والاستنتاج ، فجاءت القواعد صورة أمينة لمستوى عصرهم ومستوى فهمهم للغة ، وهو مستوى عالٍ ، وفي المراحل التالية اتسعت الهوة بين القواعد واللغة ، وأصبحت القواعد بناء نظرياً مستقلاً ، ولعل هذا ما تعاني منه اللغة والقواعد ، وما يعاني منه المعلمون والمتعلمون ، وأوضح مثل على ذلك حال بعض

المعلمين والمتعلمين الذين يتقنون القواعد ويستظهرون شواردها أو
واردها ، قياسها وشواذها ، ولا يتقنون اللغة ذاتها ، ولا يتحسسون
روحها وعبقريتها ولا يحسنون التعبير عنها .

لقد بات من الضروري النظر في وضع المناهج التعليمية لمادة
النحو العربي ، إذ تتعالى صيحات المعلمين والمتعلمين في الشكوى
من صعوبة المنهج النحوي المقرر ، وعلينا اليوم أن نمتلك الشجاعة
الكافية لنطالب بإحداث التغييرات اللازمة في هذه المناهج التي لا
تتناسب والعصر الذي نعيشه ، وسنحاول في هذا البحث تسليط
الضوء على المشكلات التي تكتنف مناهجنا اليوم ووضع الحلول
اللازمة لها ، أملين أن نضع بعض اللمسات للنهوض بالواقع التعليمي
لأقسام اللغة العربية في الجامعات العراقية ، والله من وراء القصد .

أهمية النحو العربي وأهدافه

إنّ اللغة من أهم الخصائص والمقومات التي تستند إليها الأمة في
قراءة ماضيها ومعرفة حاضرها واستشراق مستقبلها ، لأنها أداة
التخاطب والتفاهم ونقل الأفكار وتبادلها ، وهي المظهر الخارجي
الواقعي لوحدة الأمة وتماسكها ، كما أنها وسيلة التعبير والإيضاح
والبيان والارتقاء .

والنحو عصب اللغة والأساس المتين الذي تقوم عليه ، لأنه به
نفهم المعاني ونتذوقها ، وبالإعراب يفصح المرء عن أفكاره ويكشفها
ويخرجها إلى الآخرين ، فيتواصل معهم ، ومن هنا تبدو أهمية
الإعراب إذ هو ((الإبانة عن المعاني بالألفاظ ، ألا ترى أنك إذا

سمعت : (أكرم سعيداً أباه) و (شكر سعيداً أبوه) علمت برفع احدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول ، ولو كان الكلام سِرْجاً واحداً لاستبهم احدهما من صاحبه ((^(١)).

ويرى ابن فارس أن الإعراب علم جليل أختص به العرب وأنه ((هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه لما ميّز فاعل من مفعول ولا مضاف من منوعات ولا تعجب من استفهام ((^(٢)).

وذهب ابن قتيبة إلى أن الله عز وجل أمّتن على العربية بأن جعل الإعراب فيها زينة وحلية وأداة فارقة ((بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين ، كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب ، ولو قال قاتل : هذا قاتلٌ أخي بالتووين ، وقال آخر : هذا قاتلٌ أخي بالإضافة ، لدل التووين على أنه لم يقتله ودل حذف التووين على أنه قد قتله ((^(٣)).

وعدّد ابن خلدون أركان اللسان العربي فوجدها أربعة ، هي اللغة والنحو والبيان والأدب ، ونبّه على أن معرفتها ضرورية و ((أن الأهم المقدم هو النحو ؛ لأنه به تتبيّن أصول المقاصد بالدلالة ، فيُعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة ((^(٤) . ويوازن بين علم اللغة وبين علم النحو فيجد أن النحو (أهم من اللغة إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة وليست اللغة كذلك ((^(٥)).

إن الله تعالى قد قدر لعلم النحو أن ينمو ويزدهر بعد أن ازدادت الألسنة انحرافاً ، وفشا اللحن حتى بين الأعراب الخُلص ، حيث ازداد إقبال الناس على تعلم النحو وإدراك مسائله ، ثم إذا ما هلت طوابع العصر العباسي الذي ازدهرت فيه العلوم بشتى أنواعها ومواضيعها، وجدنا هذا العلم قد اخذ صيغة مدرسية بحتة ، إذ أصبح علماً ينتشر شيوخه في الحلاقات يدرسون جزئياته، ويُقبل عليهم الطلاب على مختلف مستوياتهم ، إقبال المشغوف وتهالك الملهوف ، حتى إذا ما انتهت هذه الفترة كانت لهذا العلم قواعده ومقدماته ونتائجه ، وكانت له فيما بعد متونه وشروحه وحواشيه .

إنَّ نشوء النحو بين اللحن أو العجمة - كما يرى اغلب الباحثين - هي فكرة مجانية للصواب ؛ وإنما وجد النحو ضرورة علمية اقتضتها ظروف الحياة العلمية الجديدة في الحضارة الجديدة التي ظهرت بظهور الإسلام وخروج العرب من الجزيرة ، وان للقران الكريم دافعاً كبيراً في وضع هذا العلم ، إذ جعل العلماء يشمرون عن ساعد الجد، ويعملون على وضع القواعد النحوية والاهتمام بها^(١) . فظهور اللحن سبب واحد وليس هو السبب الرئيس في نشوء علم النحو .

وللأهمية البالغة التي يتمتع بها هذا العلم بدأ المتخصصون من علماء العربية يضعون القواعد والأصول ، ويذهبون في دراسته وتدريسه مذاهب شتى ، ويؤلفون الكتب في جمعه وشرحه وتخريج مسائله ، والتعليل فيها ، وظهرت هناك العديد من المدارس النحوية ، كالبصرية والكوفية ، واستقلت كل مدرسة في آرائها عن الأخرى ، وظهرت مذاهب كثيرة في النحو ، مما أدى إلى تعقيده

وصعوبة ، حتى عدَّ هذا العلم واحداً من أهم علوم العربية ، بل عمودها الفقري الذي حفظ اللغة العربية وآدابها وبلاغتها ، وأبقاها قوية شامخة على مر العصور والدهور .

أما في العصر الحديث فقد ظهرت محاولات عديدة دعت إلى تيسير النحو ، منها محاولة إبراهيم مصطفى عام ١٩٣٧م في كتابه (إحياء النحو) الذي يرى فيه أن النحويين قصروا مباحث النحو على الإعراب والبناء من غير أن يبحثوا خصائص الكلام من حيث التقديم والتأخير والنفي والإثبات والتأكيد ، ودعا فيه أيضاً إلى الابتعاد عن الفلسفة وإلغاء نظرية العامل والاحتكام في الإعراب إلى المعنى (٧) .

لقد استمرت محاولات التيسير ، ومحاولات إعادة النظر في قواعد اللغة العربية، حتى عقدت عام ١٩٥٧م في القاهرة مؤتمر مفتشي اللغة العربية ، الذي دعا إلى تبني منهج جديد في النحو ، يقوم على أساس أن الكلام العربي كلة مكون من جمل ومكونات وأساليب ، وتقوم الجمل على ركنين أساسيين هما : المسند والمسند إليه، والتكميلات وهي كل لفظ يضيف إلى معنى الجملة الأساس معنى يكمله ، أما الأساليب فهي تعبيرات خاصة نطق بها العرب على الصورة التي وصل إليها العرب نحفظها ونقيس عليها (٨) .

لقد صار النحو كما يقول الأستاذ الجوّاري : ((مشكلة من مشكلات التعليم في اغلب بلادنا العربية ، تقع بين طرفين متناقضين ، أما دراسة ضحلة مهلهلة لا يعي فيها المؤلف والمدرس ما يقول ، وإنما تلفيق من آثار القدماء لا أصالة فيه ولا تطور ولا تطوير ، ونتف مبتورة من كتبهم لا تغني المدارس ولا تفتح ذهنه ، ولا تربّي

فيه ملكة التعبير الصحيح عن نفسه ، أو القدرة على فهم النص فهما دقيقاً محكماً ، وإما دراسة تقليدية مرهقة مضنية لا ماء فيها ولا رونق ، ولا ارتباط وثيقاً بينها وبين واقع الحياة العقلية ، وإنما هي بالنسبة للدارسين أشبه بازدياء الصخر الصلد ، لا طعم فيه ولا غذاء ولا فائدة كبيرة تنتظر منه ، وصار جلّ أمر الدارسين والمدرسين ترديداً لعبارات الأقدمين ، واستظهاراً لآرائهم ، وحفظاً لمتون كتبهم وشروحها^(٩).

وقد ظلت كثير من الدراسات تعالج مسألة تجديد النحو وتيسره إلى يومنا هذا ، إلا أن مناهجنا لم تنزل كما هي ، إذ لم يفتح عليها باب التسهيل والتيسير أو قل التعديل لكي نحقق من خلال المنهج المأمول ما نتوخاه من أهداف تدريس النحو العربي ، التي يمكن تلخيصها فيما يأتي :-

- ١- الأخذ بيد الطالب لتلافي الأخطاء النحوية التي تذهب بجمال الأسلوب، ويساعده على إنشاء كلام فصيح بأسلوب قويم ، ويجنبه الوقوع في اللحن والزلل .
- ٢- تحفيز الطالب على التفكير السريع والوقوف على الفروق الدقيقة في التركيب اللغوي .
- ٣- تمكين المتعلم من نقد العبارة اللغوية وبيان مظاهر الركاقة ومواطن الجمال والروعة فيها.

- ٤- إن النحو يكسب الطالب الدقة في الملاحظة والموازنة وتحري الحكم الصحيح الدقيق ، وينمي عنده الذوق الأدبي ، لان الإعراب عملية تحليل للألفاظ والأساليب وتميز صحيحها من سقيمها .
- ٥- يورث الطالب عادات لغوية صحيحة بعيدة عن التأثير بلغة العوام^(١٠).

واقع المناهج النحوية في التعليم الجامعي

إنّ علم النحو من العلوم القديمة الحديثة ، وقد طوّرت تلك العلوم، وطوّرت مصطلحاتها ، ومناهج دراستها ، والأسس التي تقوم عليها ، وأهدافها وكان لابد للنحو أن يتطور أيضاً ، والنحو في لغات العالم تطورت دراسته ، وأبدع نحويوه نظريات جديدة ، وأصبح للغة مدارس كثيرة ، وحاول النحويون العرب أن يطبقوا مقولات تلك المدارس على النحو العربي ، كالنحو التحويلي ، والنحو التوليدي ، مستفيدين من أن علم النحو جزء من علم اللغة وعلم اللغة كبقية العلوم لا وطن له ، وبرز كتاب حاول هذه المحاولة كتاب الدكتور تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها).

والحق أن يقال في هذا : أن المقولات الغربية للنحو تتطبق على لغاتهم وبنية اللغات ليست واحدة ، ولا بد من الاختلاف في المقولات، لهذا لم ينجح كل الذين حاولوا تطبيق المقولات الغربية .

إننا نجد اليوم ارتفاع الصرخات وكثرة الشكاوى من مادة النحو العربي وهذه الشكاوى ليست وليدة اللحظة ، فما زال الكثير من طلبة

العلم يشكون صعوبة النحو ومنهجه وذلك منذ ولادة هذا العلم إلى يومنا هذا ، مما جعل بعض الباحثين يحملون النحو أعباء الشكوى والتذمر ، وينبغي هنا أن نبين بعض المسائل التي يجب فهمها قبل أن ننقذ المناهج النحوية، واذكر منها :-

١- إن أكبر خطأ منهجي وفكري وقع فيه غالبية الباحثين والدارسين هو تحميل النحو العربي مسؤولية ترددي مستوى الأداء اللغوي الذي نعاني منه ، إن من الظلم الفادح للنحو - أيّاً كانت صعوبته - أن نحمله مسؤولية ضعفنا اللغوي ، لسبب بسيط ، وهو أن اللغة لا تُعلم بالنحو وحده، فاللغة سماعية تقوم على محاكاة العبارات والنصوص السليمة الفصيحة ولم يقم علم النحو إلا بعد أن بدأت سلائق الناس اللغوية تفسد .

٢- إن صعوبة النحو ظاهرة عالمية وليست خاصة بالعربية ، والنحو كأى علم ، ولا سيما العلوم البحتة ، له صعوباته وتعقيداته ، وليس مما يدرك للولهة الأولى ، فالرياضيات ليست سهلة ولا الفيزياء ، ولا غيرهما ، فهل صعوبة الرياضيات مثلا مدعاة لمهاجمتها ؟ وقد قَدّمت للبشرية ما قَدّمت ، وهل صعوبة الفيزياء مدعاة لهجرها ؟ وقد أنعمت على البشرية بما لا يحصى من المنافع ، إنّ أي علم ليس قابلاً للتسهيل أو التيسير ، وإنما طريقة تقديمه للملتقى هي القابلة للتطوير والتيسير ، والمنهج له أثره الواضح والكبير في ذلك .

٣- لا بد من التفريق بين النحو العلمي والنحو التعليمي ، وذلك إن بعض النحويين واللغويين - قدماء ومحدثين - سرعان ما يعلو صوتهم بالاحتجاج والنكير على أي مسعى لتطوير النحو واصلاح تعليمه ، خوفاً على هذا العلم من أن يداخله فساد، والواقع إن معظم أولئك المحتجين ممن لم يدرّسوا النحو ولم يواجهوا مشكلاته .

إن الغيرة على علوم العربية ومنها النحو فضيلة ، ولكن قتل تلك العلوم بالغيرة العمياء ، والحب القاسي يلتقي في النهاية مع قتلها باللامبالاة والكرهية .

نحن نتحدث هنا عن (النحو التعليمي) الذي يزود الطالب بما هو ضروري من قواعد اللسان العربي لا بما هو كمالي ، أو على حد عبارة الجاحظ في رسالته إلى المعلمين: ((أما النحو فلا تشغل قلبه- أي الصبي - إلا بقدر ما يؤديه إلى السلامة من فاحش اللحن ، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه ، وشعر إن أنشده أو شيء إن وضعه ، وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى))^(١١) .

٤- إن ضعف الطلبة في المرحلة الجامعية في مادة النحو العربي ما هو إلا امتداد لتعليم قواعد النحو في مراحل ما قبل الجامعة ، إذ أن كثرة المناهج وتعددتها وتغيرها في مراحل المتوسطة والثانوية أدت إلى ضعف الطلبة في أدائهم اللغوي ، وبالتالي صاروا يحفظون القواعد ويستظفرونها من غير فهم وإدراك لها ، وهؤلاء الطلبة عندما يلتحقون بأقسام اللغة العربية لا يملكون من الزاد إلا القليل ،

وهذا بدوره يؤدي إلى تخريج دفعات من أقسام اللغة العربية ، وهم أناس أميون لا يفقهون من نحوهم إلا القليل القليل (١٢).

إن واقع المناهج النحوية التي تدرس في جامعتنا اليوم لا يحقق الأهداف المرجوة من تدريس هذه المادة الجليلة ، وذلك ان النحاة أسهبوا فيها وأطالوا وشرحوا وعللوا ، فالمبتدأ والخبر مثلاً أسمان مرفوعان ، فما هنا إذا قاعدة ، ولكن النحاة القدماء لا يقنعون بهذا بل ينفقون أكثر من مئة صفحة في اخذ ورد ، ماالذي رفعهما ؟ ففريق من النحاة يقول المبتدأ رفعه الابتداء ، وآخر يقول إن المبتدأ والخبر مترافعان ، فذاك يرفع هذا ، وهذا يرفع ذاك ، وثالث يقول : بل الخبر رفعه الابتداء وحده ، ورابع يقول : رفعه الابتداء والمبتدأ معاً ثم يشرع كل فريق يدفع عن رأيه ، وينقض رأي غيره ، بالمنطق والحجة والقياس واستحضار الشاهد .

وكم يخطئ من يظن أن هذا التفكير النحوي ، المتسلح بكل صنف من صنوف أسلحة المنطق ، مقصور على بحث دون بحث ، أو مسألة دون مسألة ، بل شامل لكل بحث ولكل مسألة ، وحرام على نحاة البصرة ونحاة الكوفة أن لا يختلفوا في كل صغيرة وكبيرة من قواعد اللغة ، وما هي ذي مناهجنا لا تخرج عن كونها كتباً مليئة بالحجج والمنطق ، قليلة القواعد وكثيرة أعمال الفكر النحوي فيها .

إن هذه المناهج التي ندرّسها لطلابنا ما هي إلا كتب وضعها القدماء لأبناء جيلهم وعصرهم ، إذ كانت عصورهم مليئة بالجدل العقلي والمناظرات العلمية والألغاز النحوية ، والنحاة معذورون

بوضع هذه المناهج لعصورهم ، إلا أننا في هذا العصر الحديث الذي يختلف بكل جزئياته وطبائع ثقافته عن الأجيال المتقدمة ، والسؤال هنا ، هل طلابنا اليوم يتمتعون بتلك العقلية التي كان يتمتع أبناء القرن الرابع أو الخامس أو السادس الهجري وما بعده ؟ ! بالتأكيد إن الجواب (لا) ، لأن أهل تلك العصور كانوا يدركون اللغة بسليقتهم ، ولما ظهرت بعض بوادر النحو وضع النحاة قواعدهم وأسسوا لهذا العلم ، أما نحن اليوم فإن العامية تكاد تفتك باللغة الفصحى فضلا عن اختلاطنا بالأعاجم ، واصطناع بعض الألفاظ والتراكيب البعيدة كل البعد عن لغتنا العربية الفصيحة .

ويمكننا هنا تشخيص أهم المشكلات التي انتشرت بين صفحات كتب النحو القديمة ، ومنها كتاب شرح ابن عقيل لأنه المنهج المقرر في أقسام اللغة العربية ، ونذكر من هذه المشكلات ما يأتي :-

١- إن أول ما يواخذ عليه النحاة القدماء في كتبهم هو استعمالهم للشواهد الموثقة في كتبهم، فكثيرا ما كانت شواهدهم منفره وهذا مما يؤثر سلباً على المتعلمين ، إذ للشاهد قيمة وتأثير في الذهن والنفوس، ومما يواخذ عليه ابن عقيل في الشواهد التي قدمها ما يأتي:-

أ - استشهد ابن عقيل بالقران الكريم وكان ينبغي عليه أن يتسع أكثر في عرض النص القرآني والحديث النبوي ، فاستشهاده بهما قليل إذا ما قورنا بالشعر .

ب - استشهد ابن عقيل بشواهد شاذة لا يستعملها احد أو يجري كلامه مجراها .

- ج - شواهد ثقيلة الجرس وعرة التركيب.
- د - شواهد نابية ياباها الذوق السليم وترفضها القيم الأخلاقية .
- هـ - شواهد مجهولة النسب أو موضوعة ، لتعزیز قاعدة شاذة أو ما شابه ذلك .
- ٢- مسألة العامل النحوي الذي اعتمده النحاة في كتبهم اعتماداً كلياً وجعلوه من قواعد النحو الأساسية واشغلوا فيه أفكار المتعلمين ، ولو نُظر إليه على انه أعمال للفكر في اللغة لا على انه من قواعد لها لكان خيراً وأفضل للمتقنين .
- ٣- التعليل النحو الذي فتح بابه الخليل بن احمد ، وقد صرح بأنه إنما يرى في ذلك رأياً ، ولغيره أن يرى سواه^(١٣) . فلما توفى الله الخليل شرعت العلة النحوية تلامس جميع الكتب والبحوث النحوية
- ٤- التأويل النحوي ، وهو ما رآه النحاة موافقاً لأقسيتهم تأولوه ليوافق القواعد التي وضعوها^(١٤) . ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، أن البصريين لا يجيزون إلغاء عمل الفعل القلبي إذا تقدم في الكلام ، وقد ورد شاهد بخلاف ذلك فأولوه ، وهو قول الشاعر :
- كذلك أدبت حتى صار من خُفّي أني وجدت ملاكُ الشيمة الأدبُ
إذ أوله البصريون على إضمار لام الابتداء أو ضمير الشأن ،
والتقدير : أني وجدت لملاك ، أو أني وجدته^(١٥) .
- ٥- التوهم ، وهو أن يعجز النحويون عن رد مسألة من المسائل إلى اقيستهم فيعمدوا إلى ما لا وجود له فيتخيلوه ، ويجعلوه لهم نحواً افتراضياً فيكون من ذلك أن يرفعوا غير المرفوع على التوهم ،

وينصبوا غير المنصوب على التوهم ، ويجروا غير المجرور على التوهم ، وربما صرحوا بذلك .

٦- الضرورة الشعرية ، وقد جعل النحاة من الضرورة الشعرية فأساً تكسر به قواعد اللغة ، فللشاعر أن ينصب المرفوع إن شاء والعكس صحيح وكتب النحو المنهجية مليئة بذلك ، ومن أمثلة ذلك التي نعجب لها قول الشاعر الذي ذكره في كتبهم :

نادوهم أن أجموا ألا تآ قالوا جميعاً كلهم ألا فا

قال النحاة : أراد في صدر البيت (ألا تركبون) فحذف الراء والكاف والباء والواو والنون للضرورة الشعرية ! وأراد في العجز (ألا فاركبوا) فحذف الألف والراء والكاف والباء والواو للضرورة الشعرية أيضاً!^(١٦). ومن أعجب العجب أن فريقاً من النحاة جعلوا فواتح السور في القرآن من هذا الحذف للضرورة^(١٧) .

إن واقع مناهجنا النحوية هذا انعكس سلباً على أداء الطلبة وأدى الى ضعف مستوياتهم اللغوية ، ويمكننا بيان هذا الضعف من خلال ما يأتي :-

١- كثرة الأخطاء النحوية التي يقع فيها الطلاب في محادثاتهم وكتاباتهم وقراءاتهم وأوراقهم الإمتحانية ، وقد امتد هذا الخطأ النحوي المقروء والمكتوب الى قاعة الدرس النحوي ، فما بالك بالدروس غير الاختصاص ، او بالاقسام العلمية الاخرى التي كثر فيها اللحن والتحريف واشاعة التراكيب الدخيلة على العربية .

٢- إننا نجد طلبة العربية في مراحلهم المختلفة يزدادون ضعفاً في الأداء النحوي، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن الطلبة يسرون على خلاف المعادلة التعليمية ، فالطالب يكتسب مهارات نحوية في كل مرحلة تعليمية ، وكلما تقدم مرحلة ازداد علماً واتقاناً ، إلا إننا نجد طلبتنا كلما تقدموا في دراسة النحو ازدادوا عجزاً في اكتساب المهارات النحوية ، وهذا يؤدي إلى ضعف مستوياتهم في الأداء اللغوي بصورة عامة ، وهذا ما أشارت إليه الدكتورة عائشة عبد الرحمن رحمها الله إذ قالت : " الظاهرة الخطيرة لازمتنا اللغوية هي أن التلميذ كلما سار خطوة في تعلم اللغة العربية ازداد جهلاً بها ونفوراً منها وصدوداً عنها ، وقد يمضي في الطريق التعليمي إلى آخر الشوط فيخرج في الجامعة وهو لا يستطيع أن يكتب خطاباً بسيطاً بلغة قومه ، بل قد يتخصص بدراسة اللغة العربية حتى ينال أعلى درجاتها ويعيبه مع ذلك أن يملك هذه اللغة التي هي لسان قوميته ومادة تخصصه " (١٨).

٣- عجز الطلاب وقصورهم عما يجول في عقولهم من أفكار وخواطر ، أي إنهم لا يمتلكون القدرة على إنشاء لغة عربية واضحة بسيطة تنقل أفكارهم إلى الآخرين .

٤- إنَّ الطلاب ينظرون إلى النحو على انه يُتعلم لضبط أواخر الكلمات وتمييز صواب الكلام من الخطأ ، وهذا الموقف منهم أودى بهم إلى التقصير في اكتساب جوانب أخرى للنحو ذات اثر كبير ، كالجانب الدلالي مثلاً إذا جازَ أكثرَ من وجه إعرابي في اللفظة أو

التركيب فكل وجه إعرابي له دلالة تختلف عن الآخر ، فالمنهج النحوي المقرر هو ما ابهم ذلك ، لان كتب النحو القديمة ركزت على الأوجه الإعرابية ولم تبين الأسرار الجمالية والدلالية في هذه الأوجه.

٥- عجز الطالب عن استرجاع معلوماته ، وتذكرها لدى تصديه للإعراب أو تطبيق القاعدة النحوية ، وقصوره عن القيام بعملية التحليل والتركيب والحكم التي يستلزمها الإعراب النحوي^(١٩).

هذه أهم الآثار السلبية التي خلفتها المناهج النحوية في أقسام اللغة العربية ، إذ لا يخفى على المشتغلين في علوم العربية ما نشهده اليوم من ضعف كبير لدى طلبة العربية ، إذ نجد الطالب الجامعي في أول قبوله ينفر من هذا القسم ويصفه بأوصاف لا تليق بسمعة هذا القسم الجليل، الذي يتعامل مع لغة القرآن الكريم المحفوظة بحفظ هذا الكتاب العزيز ، قال تعالى : ((إنا نحنُ نزلنا الذكر وإنا لهُ لحافظون))^(٢٠).

إن الجهود التي بذلت في سبيل تطوير مناهج تدريس النحو وتيسير تعليمه لم تجد نفعاً ، لأنها لم تجد طريقها إلى المنهج النحوي الجامعي المأمول ، فبقينا نقر التوصيات والمقترحات ، ثم نعود لتعليم النحو العربي من كتب القدماء بدءاً من منظومة ابن مالك وشروحها ، وانتهاءً بالأجرومية وشذور الذهب وشروحها ، ليس في هذا القول تقليل من قيمة تلك الكتب ومؤلفيها المحققين الأجلاء ولكن تعقيد مادتها النحوية وأساليب تأليفها ، وقدامة عباراتها وغرابتها ، هو ما يشكو منه طلابنا ، وهو ما نسعى إلى تجاوزه في النحو التعليمي ونتركه ذخيرة للنحو العلمي .

المنهج النحوي المأمول (حلول ومقترحات)

إن درس النحو اليوم بحاجة ماسة إلى منهج جديد يأخذ من القديم ما بقي نافعاً وجديراً بالحياة ، وتبقى دراسة النحو القديم جزءاً من الدراسة التاريخية للمناهج ، ومن الدراسات القديمة لوصف ما قام به هؤلاء العلماء الكبار وفقاً لمعطيات عصرهم .

إن علم النحو لا يجوز أن يوصف بالصعوبة والتعقيد ، ولا يصح أن تجوز فيه مقولة التيسير فليس هناك من علم يوصف بالسهولة أو الصعوبة ، فالعلم دراسة لظاهرة كونية اجتماعية أو مادية لمعرفة القوانين التي تسير وفقها هذه الظاهرة ، وللتحكم فيه في هذه القوانين، وللكشف عن الخصائص والمزايا والأسرار، ومحاولة تفسير ذلك تفسيراً موضوعياً، والموضوعية تقاس هنا بحسب الظاهرة أو العلم ، إذ ليست الموضوعية واحدة في كل العلوم .

ولقد درس العلماء القدماء النحو العربي بالمنهج الذي ولد مجمل الظروف الحضارية التي كانت محيطة بهم، وسار وفق أهداف دينية واجتماعية وتعليمية رأوها ، فجاء هذا العلم التراكمي الذي أضاف إليه اللاحق شيئاً له علاقة باللغة وأشياء لا علاقة لها باللغة ، فتضخمت كتب النحو بأشياء بعيدة كل البعد عن اللغة وبعيدة عن العلم وهدفها الحقيقي .

لذا أضع أمام القارئ الكريم جملة من المقترحات والحلول التي يجب أن يتصف بها المنهج النحوي المأمول ، وقبل أن اذكر هذه الحلول ينبغي علينا أن نذكر أولاً المقترحات العامة التي بدورها تؤثر

تأثيراً مباشراً في المناهج النحوية والأداء اللغوي لطلبة أقسام اللغة العربية وهي :-

١- استصدار القرار السياسي اللغوي الواضح بحماية اللسان العربي وتطوير تعليم علومه بما فيها علم النحو ، وتشكيل لجنة من اللغويين والتربويين والسياسيين تكلف بوضع فلسفة المنهج اللغوي وغاياته وسبل تحقيقها.

٢- إنشاء كلية خاصة باللغة العربية (كلية اللغة العربية) لتتضمن الاختصاصات اللغوية المتعددة كقسم النحو والدراسات اللغوية ، وقسم الأدب ، وقسم الدراسات القرآنية ، وغيرها .

٣- القبول في قسم اللغة العربية يكون على أساس المعدل العالي لخريجي الإعداديات ولا أبالغ إن قلت : إن معدل قسم اللغة العربية ينبغي أن يساوي معدلات القبول في كلية الطب والهندسة ، لأن هذا التخصص يمس حياة الأمة كافة ، وهو اخطر من بقية التخصصات وحاجتنا إليه في حفظ الهوية حاجة لا حدود لها ، وتكون مهمة هذا القسم تخريج أساتذة علوم العربية للتدريس في كل مراحل التعليم .

٤- التشدد المطلق في اختيار أساتذة علوم العربية وإعدادهم إعداداً علمياً وتربوياً ، يتناسب مع مرحلة التعليم التي يعمل فيها هؤلاء الأساتذة ، وتحسين أوضاعهم المالية، ومسأواتهم بأصحاب اختصاصات العلوم البحتة .

٥- مراعاة الاختصاص الدقيق لأستاذ النحو العربي ، وعدم إعطاء هذا الدرس لأصحاب الاختصاصات اللغوية الأخرى ، ففي ذلك وأد

لهذا درس ، إذ لا ينبغي أن يتصدى لتدريس النحو العربي في الجامعة إلا من اختص بهذا درس تعلموا وعلماء وممن له خبرة في تدريس النحو ، تزيد في اقل تقدير-على خمس سنوات .

٦- فرض التكلم بالفصحى على كل الأساتذة في قسم اللغة العربية ، وفرضها كذلك على وسائل الإعلام والإعلان ، وعلى كل وسائل الاتصال المسموعة والمقروءة .

أما المقترحات الخاصة بالمنهج النحوي فيمكن إجمالها فيما يأتي :-

١- تقليل المادة النحوية التي يكثر فيها الكلام والإسهاب ، فمثلاً تحدث النحاة كثيراً في باب المفعول به وأسهبوا بالكلام عنه في صفحات عديدة من كتبهم ، ونستطيع القول عن المفعول به : هو ما وقع عليه فعل الفاعل فنصبه،وقد يتقدم على الفاعل وعلى الفعل أيضاً نحو (قرأ محمدٌ كتاباً، وقرأ كتاباً محمدٌ ، وكتاباً قرأ محمدٌ) ويجب تقديمه في حالتين ، الأولى : أن يتصل الفاعل بضمير المفعول ، نحو (سكن الدارَ مالئها) والثانية : أن يقع بين أما وجوابها نحو : (أما الجائع فاطعم). انتهى .

ومثال آخر تابع المنادى من صفة أو بدل أو عطف أو توكيد قد استغرق الكثير من الصفحات في كتب النحو، ونستطيع إيجازه بخمس كلمات وهي (قدّر قبل التابع (يا) محذوفة) وهذا يعطيك المحل الإعرابي المناسب للتابع من غير الخوض في التعليقات والمطولات.

٢- إن إعادة تنسيق مناهج النحو لن تكون مثمرة ما لم ينظر في الشواهد والأمثلة التي تنمي السليقة اللغوية ، وتهذب الأذواق ، وتقرب النحو إلى العقول ، وتحببه إلى النفوس ، وينبغي مراعاة الشواهد النحوية في الجوانب الآتية :-

أ- الإكثار في الشواهد القرآنية والتعمق فيها ، لأن كتاب الله يأتي في مقدمة الشواهد النحوية لبلاغته المعجزة، وروعة أسلوبه ، ورفعة معانيه ، قال الفخر الرازي: " وإذا جوّزنا إثبات اللغة بشعر مجهول فجواز إثباتها بالقران العظيم أولى وأنا شديد التعجب منهم - أي من النحاة - فإنهم إذ جعلوا ورود القران دليلاً على صحتها كان أولى "(٢١). فالقران هو المنطلق في تقعيد أصول اللغة ، ومنه نستمد القواعد ، وفي ضوئه تُدرس الأساليب اللغوية المختلفة .

ب- إنّ الوقوف عند عصر الاحتجاج وحده ضيقّ السبيل ، وجعل النحاة يدورون في فلك الشعر القديم ، ويعيدون ما ذكره السابقون ، أو يستشهدون بشعر مجهول النسب ، أو موضوع لتعزيز رأي من الآراء لذا علينا اليوم أن نجدد الخطاب النحوي ، فليس للنحاة في هذا العصر أن يقفوا عند عصر الاحتجاج ، وإنما ينبغي أن يمتد استشهادهم بالشعر البليغ الجاري على أساليب العرب الفصحاء في التعبير ، ليواكبوا مستجدات العصر .

وقد ظهرت عند القدماء مواقف كادت تكسر الطوق ، ومنها موقف الزمخشري الذي استشهد في تفسيره بيت أبي تمام :

هما اظلما حالِيَّ ثُمَّتَ أَجْلِيَا ظلامِيَهُمَا عن وجهِ أمرَدَ أَشِيْبِ (٢٢) .
قال الزمخشري عن أبي تمام :- " وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد
بشعره في اللغة فهو من علماء العربية ، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما
يرويه ، ألا ترى إلى قول العلماء :الدليل عليه بيت الحماسة ،
فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه" (٢٣).

ج - التخفيف من الشواهد الشعرية ، بتخليها ، وحذف
الشواهد التي تضم ألفاظاً نابية أو منافية للذوق والخلق الرفيع ،
وكذلك حذف الشواهد المجهولة النسب والمصنوعة للتأويل النحوي أو
الإنصار لمذاهب النحاة .

٣- توحيد حد المصطلح النحوي ، فهناك مصطلحات تعددت تعاريفها ، وهذا
يؤدي إلى اضطراب في المناهج وتشتت في تفكير الطالب ، ومن هذه
المصطلحات المتعددة التعاريف : (الإعراب ، الجملة ، النكرة ، التمييز ،
وغيرها) .

٤- فصل المصطلح الصرفي عن المصطلح النحوي لتداخلهما في
كثير من الكتب النحوية ، ومن أمثلة ذلك (النعت والصفة ، الفعل
الناقص ، اسم الفاعل ، واسم المفعول ، الصرف والممنوع من
الصرف ، وغيرها) .

٥- تخلص الكتب النحوية مما علق بها من آثار العلوم الأخرى ولا
سيما التعليل الذي اخذ جزءاً كبيراً من المناهج النحوية من غير أن
يأتي بمردود نافع للمتعلمين ، بل هو أعمال للفكر وجهد عقلي على
المتعلمين .

٦- تجنب فصل مادة النحو العربي عن علوم العربية الأخرى كالأدب والبلاغة، وتدريسها في نصوص تكاملية .

إن دارس النحو اليوم لا يحتاج نحواً يشبه نحو علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٦ هـ) الذي قال فيه أبو علي الفارسي: "إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان النحو ما نقوله نحن فليس معه منه شيء" ^(٢٤). وذلك لأن الرماني كان يمزج النحو بالمنطق فيزيده تعقيداً .

إن النحو الذي يريده المعاصرون هو ما كان سهل التناول واضح القواعد ، رائع الشواهد والأمثلة ، بديع العرض والشرح ، معبراً عن روح العصر، ويبقى النحو الذي عرضته الكتب القديمة مصدراً مهماً للدارسين المختصين الذين يريدون أن يعرفوا أسرارها ، ويقفوا على الآراء المختلفة ، وما قاله النحاة في هذه المسألة أو تلك ، فللمتخصص في علم النحو أن يدرس الصغيرة والكبيرة ، إلا إن طلبة الدراسات الأولية بحاجة ماسة إلى اصطناع المنهج النحوي المنشود الذي نأمل في قابل أيامنا إن شاء الله تعالى ، والحمد لله رب العالمين .

الهوامش

- ١- الخصائص : ٣٥/١ .
- ٢- الصاحبى فى فقه اللغة : ٧٧
- ٣- تأويل مشكل القرآن : ١٤
- ٤- مقدمة ابن خلدون : ٥٤٥
- ٥- المصدر نفسه
- ٦- ينظر اثر القرآن والقراءات فى النحو العربى : ٣٠
- ٧- ينظر أحياء النحو : ٤١-٤٢
- ٨- الموجز فى طرائق تدريس اللغة العربية وآدابها: ١٢١-١٢٢
- ٩- نحو التيسير دراسة ونقد منهجى : ٩ .
- ١٠- ينظر تعليم اللغة بين النظرية والتطبيق : ٢٠١-٢٠٢ ، وطرق تعليم اللغة العربية : ١٦٧-١٦٨ .
- ١١- كتاب المعلمين (مجموعة رسائل الجاحظ) : ٣٨/٣ .
- ١٢- ينظر طرق تعليم اللغة العربية : ١٧١-١٧٢ .
- ١٣- الإيضاح للزجاجى : ٦٦ .
- ١٤- ينظر نحو التيسير : ٩ .
- ١٥- ينظر شرح ابن عقيل : ٤٩/٢ .
- ١٦- ينظر شرح شافيه ابن الحاجب : ٢٦٦/٤ ، وشرح ابن عقيل : ١٥٩/١ .
- ١٧- ينظر شرح الشافية : ٢٦٤/٤ .

- ١٨- لغتنا والحياة : ١٠١ .
 ١٩- ينظر طرق تعليم اللغة العربية : ١٧١-١٧٢ .
 ٢٠- الحجر : ٩ .
 ٢١- تفسير الرازي : ٤٥/٩
 ٢٢- ديوان أبي تمام : ٦٩ .
 ٢٣- الكشف : ١١٩/١ .
 ٢٤- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : ٤٥ .

مصادر البحث

- ١- القرآن الكريم
 ٢- اثر القرآن والقراءات في النحو العربي ، لمحمد سمير نجيب اللبدي ، دار الكتب الثقافية / الكويت / ط ١ / ١٩٧٨م.
 ٣- إحياء النحو ، لإبراهيم مصطفى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٥٩م.
 ٤- الإيضاح في علل النحو للزجاجي ، تحقيق مازن المبارك ، القاهرة ، ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م .
 ٥- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، للفيروز آبادي ، تحقيق محمد المصري ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ

- ٦- تأويل مشكل القران ،لابن قتيبة ، تحقيق السيد احمد صقر ، ط٢ ، ١٩٧٣م
- ٧- تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق للدكتور حسن شحاتة، ط١٩٩٢،١م .
- ٨- تفسير الرازي المسمى (مفاتيح الغيب) ، لفخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
- ٩- الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، عالم الكتب، بيروت .
- ١٠- ديوان أبي تمام ، مطبعة دار المعارف .
- ١١- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ،لابن عقيل المصري ، مكتبة دار التراث ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م ، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، لمحمد محيي الدين عبد الحميد .
- ١٢- شرح شافية ابن الحاجب ، لرضي الدين الاسترأبادي ، تحقيق محمد نور وآخرين دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، ١٩٧٩م.
- ١٣- الصاحبى فى فقه اللغة ،لابن فارس، تحقيق مصطفى الشويمى ، بيروت .
- ١٤- طرق تعليم اللغة العربية ، لمحمد عبد القادر احمد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، ١٩٥٤م.
- ١٥- كتاب المعلمين (مجموعة رسائل الجاحظ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ط١ ، ١٩٧٩م.

- ١٦- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، للزمخشري ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ١٧- لغتنا والحياة ، للدكتورة عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف بمصر .
- ١٨- مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ، دار القلم بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٤م .
- ١٩- الموجز في طرائق تدريس اللغة العربية وآدابها ، لمحمود احمد السيد ، دار العودة ، بيروت ، ط ١٩٨٠م .
- ٢٠- نحو التيسير ، دراسة ونقد منهجي ، لأحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٨٤م .